أدب الأطفال بين الهوية والعالمية

إعداد أ./ يعقوب الشاروني[1]

تقول السفيرة مشيرة خطاب، الأمين العام السابق للمجلس القومي للطفولة والأمومة في مصر، وحاليًّا وزيرة شئون الأسرة والسكان:

" ألتقي بالعديد من الآباء والأمهات في جميع مُحافظات مصر، من خلال الندوات واللقاءات التي يُنظّمها المجلس القومي للطفولة والأمومة، وأحيانًا تستوقفني بعض الآراء التي تؤرّقني، كأن يقول لي أحدهم: "هل حُلَّت جميع مشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية، لنبحث مُشكلة عدم احترام حقوق الإنسان؟ "

ومن هنا دق جرس الإنذار بداخلي، وجاءت مُبادرة المجلس للتعريف بوثيقة بحقوق الإنسان، كمدخل للتعريف بحقوق الطفل، فأولادنا يجب أن ينشئوا مؤمنين بكل القيم الواردة بوثيقة حقوق الإنسان، مُدركين ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

فمبدأ كمبدأ عدم التمييز واحترام الآخر والتعايش معه، مبدأ يجب أن يُحترم، وأن يُغرس داخل أولادنا. فيجب أن نُربى أولادنا على أن الاختلاف بيننا ليس مادة للخلاف. كذلك من أهم القيم التي تحويها هذه الوثيقة أيضًا، قيمة احترام البيئة.

فمثل هذه الموضوعات يجب أن تتم مُناقشتها داخل منازلنا، فنحن نُعلّم أولادنا الحساب، والعلوم، والجُغرافيا، لكنّنا لابد أن نُعلّمهم كيف يكون الإنسان مُتحضّرًا بسلوكياته، وبأسلوب تفكيره، وبتعامله مع الآخرين، وباحترامه لحقوق الإنسان ".

"إنني أدعو كل أب مصري وأم مصرية إلى قراءة هذه الوثيقة لأطفالهم الصغار، كما أدعو أولادنا إلى قراءتها حتى يكون الغد أكثر إشراقًا. . . "

بهذه العبارات الواضحة، تُعبّر الوزيرة المسئولة عن الطفولة والأمومة والسكان في مصر، عن ضرورة وأهمية إشاعة المعرفة والفهم والاحترام، بين كل فئات الشعب، بحقوق الإنسان.

وحقوق الطفل مُكوّن أساسي من حقوق الإنسان. وقد سبق أن عبّر جيمس جرانت (James

(1) كاتب أطفال.

Grant) المُدير التنفيذي السابق لمُنظّمة اليونسيف عن التحديات التي تواجه تنفيذ "الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل"، و"الإعلان العالمي لبقاء الطفل وحمايته ونمائه"، فقال إنه يجب العمل من أجل "تأكيد سريان روح اتفاقية حقوق الطفل ونصوصها في سياسات الدول وما يصدر من قوانين، لكي تُصبح هذه الحقوق مُكوّنًا أساسيًّا في حياة الأمم، وفي الثقافة اليومية للأفراد والعائلات والمُجتمعات".

فلا يكفى أن تُصدِّق دولة من الدول على الاتفاقية، ولا يكفى صدور "ميثاق قومي" لإعادة النظر في التشريعات الوطنية لتتفق مع المبادئ الواردة في الاتفاقية، ولا يكفى صدور قوانين لحماية الطفولة، بل لابد أولاً من التوعية بهذه الحقوق، حتى تُصبح ضمن السياق القومي لكل دولة.

إن الظواهر والاتجاهات الاجتماعية لا تتغيّر فجأة، حتى إذا كانت هناك تشريعات وقوانين تتبنّى هذا التغيير، لأن التوجّهات الاجتماعية عادة ما تكون مُتأصّلة بعمق في المُعتقدات الثقافية، ومُتأثّرة بالعوامل التاريخية ومراحل التنمية، لذلك فإن سلامة تطبيق اتفاقية حقوق الطفل يقتضى تَشَرُّب واعتناق الفلسفة الأساسية للاتفاقية، وبث مبادئها، وفهمها الفهم السليم، والإحاطة بجوهر ومضمون مجموعات الحقوق المُختلفة للطفل.

ومُنذ وقت مُبكّر، كشفت دراسة صادرة عن هيئة "اليونسيف" في مصر، أن الدراسات الاجتماعية كشفت أن عملية وأساليب التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة، تتّسم بقدر كبير من التسلّط، وهو ما يحول دون انطلاق الطفل في التعبير عن نفسه ودون نموّه نموًّا صحيًّا.

كما أن نظام التعليم يواجه صعوبات تؤثّر في مضمون العملية التعليمية، وبالتالي تؤثّر في كفالة حق التعليم ذاته. ومن أبرز هذه الصعوبات: ازدحام الفصول، ووجود عجز في مباني المدارس، وقد أثّر هذا في نوعية التعليم وفى الأنشطة التربوية بهذه المدارس، كما تسبّب انخفاض المستوى في عدم استكمال أعداد كبيرة من التلاميذ مرحلة التعليم الأساسي، وهو ما نُطلق عليه "ظاهرة التسرّب من التعليم".

كما أشار تقرير مُنظّمة اليونسيف إلى أنه، على الرغم من أن مبدأ المُشاركة والحقوق والحريات المُرتبطة بها مكفولة لكل المواطنين، فإن مفهوم وفكرة مُشاركة الطفل لم تكن معروفة في مصر، حتى عهد قريب. وتكمن المُشكلة في المُعتقدات الموروثة التي ترسّخ أنماط التنشئة التسلّطية والتلقين في نُظم التعليم، والنمطية في البرامج التي تُعد للشباب.

والحقائق السابقة قد أوضحها المجلس القومي للخدمات الاجتماعية والتنمية في مصر عند تقييمه لأنشطة الشباب، ودعا إلى تبنى إستراتيجية ومعايير واضحة لمُشاركة الشباب، وأبرز أن المُشاركة يجب مُمارستها من خلال خبرات حياتية، فهى وسيلة ديمقراطية للتنشئة الاجتماعية، ويجب أن تبدأ من داخل الأسرة، وتستمر في المؤسسات التعليمية، وأن تُستكمَل بالمُشاركة داخل المراكز الشبابية.

فمهما صدر من قوانين للعمل على تفعيل حقوق الإنسان وحقوق الطفل، فإن تطبيق هذه القوانين لا يتم في فراغ، لكنّها تتفاعل مع الواقع الاجتماعي ومع السياسات الاجتماعية والاقتصادية.

ولتعديل ما هو غير مُلائم من اتجاهات ومُعتقدات، وللعمل على احترام القانون وتقبّله وتطبيقه، يبرز الدور الأساسي للوسائل الثقافية، ومن أهمّها الأدب، سواء الموجّه إلى البالغين أو إلى الأطفال.

ونرصد فيما يلي بعضـًا من أهم الأعمال الأدبية الموجّهة للأطفال والشباب الصغير، والتي ساهمت، وتُساهم، في ترسيخ الوعي بحقوق الإنسان والأطفال في مصر والعالم العربي.

حق التعبير عن النفس ورفض التسلّط:

تنص المادة (12) من اتفاقية حقوق الطفل على أن: " تكفل الدول الأطراف في هذه الاتفاقية للطفل القادر على تكوين آرائه الخاصة، حق التعبير عن تلك الآراء بحرية في جميع المسائل التي تمس الطفل، وتولى آراء الطفل الاعتبار الواجب وفقـًا لسن الطفل ونضجه ".

وفي رواية " كنز جزيرة عروس البحر "، التي ترجمتها الأستاذة الدكتورة ماريا ألبانو إلى الإيطالية، ونشرتها دار نشر " سينوس "، نتعايش مع مُراهقَيْن، يواجهان تسلّط الأم وقلقها الدائم عليهما، ونعيش مُحاولتهما للتخلّص من ضغوط تلك الحماية الزائدة.

إنهما يحلمان ببيت تقول عنه البطلة الصغيرة إن " ارتفاع المدخل والأبواب والسقف لا يسمح لمن هم أطول منّا بالدخول.. إنها تُناسب فقط الشباب الصغير من أمثالنا، ولا مكان فيه للكبار الذين لا يسمحون للصغار بالخروج أو الدخول إلا بإذن، وبعد الرجاء والتضرّعات، أو الغضب والبكاء!.. "

ثم تضيف: " وسمعنا صوتًا: " هذه غُرفتك يا عماد... " ولاحظتُ أن بها جهاز تليفون من حقّه استخدامه في أي وقت من الليل أو النهار، بغير أن يسمع من يصيح به: " كُف عن مُكالماتك الطويلة هذه! " ـو" هذه غُرفتك يا سماح... " ولاحظْتُ أن الباب يُمكن إغلاقه من الداخل، فلا يدخل أحد بغير استئذانك، ولا يقتحم غُرفتك من يُفتّش فيها عن مُذكّراتك في غيبتك.. "

وفي فقرة أخرى تقول البطلة: " تصوّرت نفسي أنا وعماد أحد أبطال تلك الحكايات التي تسلّق فيها شباب صغير مثلنا شُعاع الشمس، وصعدوا إلى السُحب، وأقاموا فوقها بيوتهم المسحورة، بعيدًا عن حاكم يطلب تنفيذ مهام مُستحيلة، أو هربًا من ساحرة تحكّمت فيهم!... ستُناديني ماما وتقول: "انزلي يا سماح من السحاب ولن أمنعك من رحلة الأهرامات ولا من أيّة رحلة أخرى.. "

ثم نكتشف، في خاتمة القصة، أن قُدرة الأطفال على الإبداع، هي طريقهم للتخلّص من ضغوط تسلّط الكبار وقلقهم عليهم.

لقد أشارت البطلة على والدها، الذي كان يبحث بغير جدوى في قاع النيل عن سفينة تاريخيّة

غرقت، مُتسائلة: " لماذا لا نـُفكّر في أكثر من اتجاه؟ " فيقول والدها في حيرة: " لا أفهمك! " فتُجيب في ثبات: " بدلاً من البحث تحت الماء، لماذا لا نبحث تحت أرض الجزيرة " .

وفي الصفحة الأخيرة من القصة نعرف أنه: بعد أيام صدرت الصُحف كُلّها وقد نشرت صورتي بجوار صورة والدي! . . . العناوين الرئيسية تقول بالخطوط الحمراء العريضة: "العقل المُبدع لفتاة صغيرة يكشف أسرار الماضي " .

وتتساءل البطلة: " هل كان يُمكن لوالدتي، بعد كل هذا، أن تتمسّك بممنوعاتها؟! "

*****

وفي رواية " مُغامرة زهرة مع الشجرة " يواجه أطفال مدرسة ابتدائية، بتضامنهم، واقع الكبار الذي لا يُبالى بالخـُضرة ولا بالجمال ولا بمصلحة الأطفال، ويُفرّط في الأشجار كأنـّها لا قيمة لها .

لقد وقف الأطفال، تتزعّمهم فتاة منهم، حول شجرة يحمونها بأجسادهم من القطع لأنهم كانوا يلعبون في ظلّها، مما اضطر الكبار إلى الاستماع إليهم، والموافقة على احتجاجاتهمَ، والتوقف عن "ذبح" الشجرة.

إنها رواية تجمع ما بين تأكيد حق الأطفال في التعبير عن مصالحهم، وقُدرتهم على تغيير قرارات الكبار الخاطئة، كما تُبرز قُدرة الفتاة على القيادة والتوجيه، وفى نفس الوقت، يدور موضوع القصة حول المُحافظة على البيئة مُتمثّلة في الحرص على سلامة شجرة ارتبط بها الأطفال.

حق الطفل في بيئة نظيفة:

تنص الفقرة (هـ) من المادة (29) من الاتفاقية على أن: " يكون تعليم الطفل موجّهًا نحو: تنمية احترام البيئة الطبيعيّة " .

وفي رواية عنوانها " الرحلة العجيبة لعروس النيل " ، نعيش مع مُغامرة لإحدى عرائس النيل، تصطحب خلالها عددًا من الأطفال إلى رحلة تحت الماء، ليكتشفوا بأنفسهم ما تسبّبه تصرفات الإنسان من تلوّث وتدمير للبيئة.

وفي نهاية الرواية يرتفع صوت أحد الأطفال وهو يقول في تصميم: "سنذهب إلى كل الناس، ونسألهم: " ماذا يجب أن نفعل لكي نُحافظ على صحّة نهرنا العظيم، بعد أن تسبّبنا في إصابته بالمرض؟! " وتساءل معه كل الأصدقاء في صوت واحد: " نعم. . . ماذا يجب أن نفعل؟! "

وعن هذه الرواية، يقول " ريتشارد كونتسل " الذي كان مُشرفًا على معاهد جوته الألمانية في مصر: " لا يوجد على سطح الأرض بلد يعتمد اعتمادًا كُليًّا على المنحة الوحيدة التي وهبته إياها الطبيعة، مثل اعتماد مصر على النيل، فيهب الأطفال المصريون لنجدة نيلهم مانح الحياة لكل فرد في هذا البلد الجميل " .

حق الطفل في التعليم:

تنص المادة (28) من الاتفاقية على أن: " تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في التعليم " .

كما تنص المادة (29) على أن: " توافق الدول الأطراف على أن يكون تعليم الطفل موجّهًا نحو: تنمية شخصية الطفل ومواهبه وقُدراته العقلية والبدنية إلى أقصى إمكاناتها " .

وفي قصة " شجرة تنمو في قارب " نواجه طفلاً يعيش مع أسرته في القاهرة، على سطح قارب صيد على شاطئ النيل، لا يعرف القراءة ولا الكتابة. ومن خلال مُتابعة هذا الطفل لعالم الطبقة الوسطى من المهنيين، يتطلّع إلى محو أميّته وهو يشتغل عاملاً في صيدلية، وذلك بمُساعدة أحد المُثقّفين الذين يعرفون أهمية دورهم في القضاء على الأمية.

وفي نهاية القصة نرى هذا الطفل: " جالسًا في الصيدلية وقد أعطى ظهره للتليفزيون، وانهمك في قراءة كتاب " .

*****

وفي قصة " مُفاجأة الحفل الأخير " نتعايش مع فتاة تعيش في قرية ريفية صغيرة، وبالرغم من عدم اهتمام البيئة المُحيطة بها بتعليم الفتاة، فإنها تتمسّك بقوّة بحقّها في التعليم، وتتغلّب على عقبة بعد أخرى إلى أن أصبحت طبيبة، واختارت أن تعود لتعمل في قريتها، بل أصبحت رئيسًا لمجلس تلك القرية.

إنها قصة تدور حول حق البنت في أن تتعلّم، كما تؤكّد قُدرة الفتاة على النجاح سواء في التعليم أو القيادة المُجتمعية.

حماية الطفل من الاستغلال الاقتصادي، وقضية عمالة الأطفال:

تنص المادة (32) من الاتفاقية على أن: (1) " تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في حمايته من الاستغلال الاقتصادي ومن أداء أي عمل يرجّح أن يكون خطيرًا أو أن يُمثّل إعاقة لتعليم الطفل، أو أن يكون ضارًّا بصحة الطفل أو بنموّه البدني، أو العقلي ـ (2) . . . . تقوم الدول الأطراف بوجه خاص بما يلي: (أ) تحديد عُمر أدنى أو أعمار دنيا للالتحاق بعمل ـ (ب) وضع نظام مُناسب لساعات العمل وظروفه " .

وحول هذا الموضوع تقول الدكتورة ماريا ألبانو: تنتمي للنوع الاجتماعي قصة يعقوب الشاروني " قليل من الراحة فوق السلالم " (من يوميات صبي بقال)، حيث يتكلّم الكاتب برفق كبير عن عذاب عمل الأطفال، فيصف يوم طفل مُجبر على ترك المدرسة ليعمل صبيًّا في متجر بقالة. ويصف عالم الكبار بواقعية قاسية وعدم اكتراث صامت، وذلك لأنه يراه بعين الطفل (" أبواب كثيرة تُغلق

في وجهي، ثم يفتحها الناس مرة أخرى لدفع الحساب ") تلك الأبواب، أحيانًا، تبقى مواربَة. ويلمح الصغير من خلال فتحة الباب عالمًا مُختلفًا، أكثر ثراءً. إنها فتحة يلمح من خلالها " صفوفًا من الكُتب تُغطى الجُدران " .

وتذبح استجوابات الكبار يوم الطفل، وهى استجوابات قاسية لاذعة، تحتقر الجُهد الضخم الذي يجب عليه أن يتحمّله، والذي لا يُمكن تخفيفه ولا حتى بالجلوس على إحدى درجات السلالم الكثيرة التي يصعدها: " ماذا تفعل في الطابق الثالث؟ " " من أنت؟ ماذا تفعل هنا؟ " "لماذا تجلس على سلالم الطابق الرابع؟ " " هل أضعت النقود اليوم أيضًا؟ " وهو يحاول الإجابة على الجميع، مُتحمّلاً ألم ساقيه، والبكاء والإهانات. ولكن في النهاية، لم يعد يتحمّل، ويتساءل هو أيضًا، وهو التساؤل الوحيد له والذي يُعبّر عن أمله المفقود، عن رغبته التي لا تخمد أبدًا: " هل أستطيع أن أطلب كتابًا من تلك العائلة التي تعيش في شقة تبدو كأنّها مكتبة؟ "

نفس الموضوعات الاجتماعية المُتعلّقة بعمل الأطفال تُعالجها هالة الشارونى، حيث نجد البطل طفلاً صغيراً مُجبراً على بيع بضائع "بلا قيمة " في عربة مُتجوّلة صغيرة. ولكن هذا الولد الصغير لا يتخلّى عن الاستذكار تحت ضوء المصباح الخافت، في الشارع، راكعًا وهو يكتب في كشكول مسنود على الأرض أمامه " . وهذا يُساعده في شراء ما يحتاج إليه من أدوات مدرسية وملابس" .

المُساواة بين الجنسين:

تنص المادة (29) من اتفاقية حقوق الطفل على أن: " توافق الدول الأطراف على أن يكون تعليم الطفل موجّهًا نحو: (د) إعداد الطفل لحياة تستشعر المسؤولية في مُجتمع حُر، بروح من التفاهم والسلم والتسامح والمُساواة بين الجنسين " .

وفي هذا تقول أ. د. ماريا ألبانو: " من إحدى الحكايات الخيالية الشعبية التي يعرضها يعقوب الشارونى في إعادة صياغته والموجودة في مُجلّد " أجمل الحكايات الشعبية " ، قصة " الأمير الجبان " ، وهي تحكي عن شجاعة أميرة لا تتردّد في ارتداء ملابس القائد، وتترأس جيشًا بأكمله. ويقصد الكاتب إبراز المنزلة الجليلة المُتساوية بين الرجل والمرأة، ليقضى على فكرة تحقير النساء التي يلصقها بالإسلام بعض المُهمّشين المُتعصّبين " .

كذلك فإن رواية " حسناء والثعبان الملكي " تُقدّم لنا نموذجًا فريداً للفتيات من بنات القبائل التي تعيش في مصر، في منطقة جبال البحر الأحمر، المحصورة بين وادي النيل والبحر، حيث اعتادت الفتيات مُنذ طفولتهن الاعتماد على النفس، ومواجهة تقلّبات الطبيعة القاسية، فنُعايش في الرواية كيف واجهت فتاة، عُمرها 12 سنة، وحدها، أخطار السيول بشجاعة وحكمة.

وفي رواية " سر ملكة الملوك " التي تدور حول الخلفية الإنسانية وراء نجاح الملكة حتشبسوت في حُكم مصر لمُدّة 21 سنة، مُنذ 3500 سنة، نكتشف قُدرة المرأة على تولى أكبر المسئوليات بنجاح، على الرغم من مؤامرات الرجال، وفى مواجهة ثقافة شعبية لم تكن تتقبّل أن تتولّى امرأة أكبر سُلطة في البلاد، هي سُلطة " الفرعون " .

وفي رواية " حكاية رادوبيس " نتعايش مع فتاة صغيرة من العبيد، استطاعت أن تستفيد من كل ما واجهها من عقبات، إلى أن استطاعت أن تصبح ملكة على مصر وزوجة للفرعون " أمازيس " حوالي سنة 600 قبل الميلاد.

احترام حقوق الطفل المُعوَق، وتقبّل الآخر المُختلف عنا:

تنص المادة (23) من الاتفاقية على أن: (1) " تعترف الدول الأطراف بوجوب تمتّع الطفل المُعوّق عقليًّا أو جسديًّا بحياة كاملة وكريمة، في ظروف تكفل له كرامته وتُعزّز اعتماده على النفس وتُيسّر مُشاركته الفعلية في المُجتمع.

وفي هذا تقول أ. د. ماريا ألبانو: والفضل الكبير للشاروني في إدخال الرواية الاجتماعية في أدب الأطفال في العالم العربي. والهدف هو تنمية الإحساس في ضمائر الأفراد تجاه المُشكلات الاجتماعية في دولة مثل مصر، تتقدّم بخُطًى ضخمة إلى الأمام في هذا المجال، لكن ما زالت تنقصها الرفاهية كما هي في المفهوم الأوروبي. وتدور أحداث الكثير من قصصه في العشش القاهرية، بين أولاد الشوارع، أو المُضطرين إلى العمل مُنذ الصغر، حيث إنهم يُمثّلون نسبة عالية من سكان المدينة.

وفي قصص أخرى نجد الدعوة البيئية قويّة، وكذلك النداء الموجّه للشباب ليُحافظوا على الطبيعة من التلوّث الذي يُسبّبه الإنسان.

لكن إحساس الكاتب يُركّز خصيصًا على الأطفال " ذوى الاحتياجات الخاصة " . ففي إحدى قصصه " حكاية طارق وعلاء " ، يُحكى الكاتب عن مُقابلة علاء مع طفل آخر، هو طارق، الذي يُعانى من " احتياج خاص " . الشاروني لا يتكلّم أبدًا عن الإعاقة بشكل صريح، لكنّه يصف شخصية طارق الموهوب جدًّا في الرسم. وفى النهاية سوف يقوم طارق نفسه بمُساعدة علاء وليس العكس. إن التركيز لا يكون على احتياج طارق للتواصل مع الآخرين، لكن على كفاءة " الآخرين " في التواصل مع طارق. إن قيمة الكتابة تربوية بشكل كبير: تتضمّن القصة طرقًا دقيقة للتصرّف والتفاعل مع ما يُسمّى " الاختلاف " ، وذلك بهدف اكتشاف " المهارات " وليس " الإعاقات " للأشخاص الذين يظهرون وكأنهم " غير طبيعيين " .

وفي قصة " سر الاختفاء العجيب " يستطيع طفل مُصاب في ساقه بشلل الأطفال، أن يُحقّق ما لم يستطع أن يُحقّقه رفاقه من الأصحاء، بأن أنقذ صديقًا له سقط في بئر مقبرة فرعونية مجهولة بين التلال القريبة من قريتهم في مصر العُليا (الصعيد).

وفي قصة " مرمر وبابا البجعة " نُتابع اهتمام طفلة صغيرة بإطعام بجعة منقارها مكسور، فلا تستطيع الإمساك بطعامها من السمك. وهى قصة موجّهة للأطفال ابتداء من سن 3 أو 4 سنوات، لتنمية روح تقبّل الغير المُختلف عنّا.

*****

ويُمكن أن نُتابع عددًا آخر من القصص والروايات الموجّهة إلى الأطفال والشباب الصغير، تدور حول حق الأطفال في اللعب، وكيف أن عمل الأطفال يُحرمهم من هذا الحق، وذلك مثلاً في قصة " لعبة صباحية خطرة ".

أو عن انتهاك حقوق الفتاة، وذلك في حالات الزواج المُبكّر، في قصة مثل " أم ياسمين وبناتها ".

أو تعرّض الأطفال للعُنف والإساءة البدنية في قصة مثل " من مذكرات طفل " ورواية "منيرة وقطتها شمسة ".

أو مُعاناة أطفال الشوارع أو الأطفال بغير مأوى، في قصة " أحسن شيء أنى حرة ".

خاتمة ونظرة عامة:

تؤكّد مجموعة الروايات والقصص التي تحدثنا عنها، أنه قد أصبح هناك اهتمام حقيقي بدور أدب الأطفال في تعزيز حقوق الإنسان والطفل في مصر، بعد أن تبنّت السياسة التشريعية هذه الحقوق بصدور قانون حماية الطفل رقم (12) لسنة (1996).

وبعد أن أصدر رئيس جمهورية مصر وثيقتين، الأولى: باعتبار العشر سنوات من 1989 ـ 1999 عقدًا لحماية الطفل المصري ورعايته، والثانية: بإعلان العقد الثاني لحماية الطفل المصري ورعايته من 2000 ـ 2010.

وبعد إنشاء " المجلس القومي للطفولة والأمومة " في مصر سنة 1988، ليكون أداة تنسيق وتوجيه بين كل الجهات الحكومية والأهلية لحماية حقوق الأطفال والأسرة، وقد أُسْنِدَت إليه مُهمة مُتابعة تنفيذ اتفاقية حقوق الطفل الصادرة لسنة 1989.

ونتيجة المشروعات الكُبرى التي ترعاها وتقودها سيدة مصر الأولى السيدة سوزان مبارك، والجهود المُتواصلة التي تبذلها، لكي تُحقّق على أرض الواقع حق الطفل في الثقافة والقراءة والتعليم

من خلال مشروع "القراءة للجميع" و"مكتبة الأسرة" و"مُسابقة سوزان مبارك لأدب الأطفال" لرعاية الموهوبين في مجال أدب الأطفال ورسم كُتبهم.

بجوار قيادتها "حركة سوزان مبارك الدولية للمرأة من أجل السلام" لتأكيد مبدأ قبول الآخر وتحقيق السلام الاجتماعي.

بالإضافة إلى جهودها لإثارة وعي المُجتمع لمواجهة قضايا الأطفال بغير مأوى، وذوى الاحتياجات الخاصة، وعمالة الأطفال، وسكان العشوائيات الفقيرة حول المُدن الكُبرى.

*****

لكن هذا لا يجب أن يخفى عنّا أن عدداً ممن يكتبون للأطفال في العالم العربي، لم تتشبّع أفكارهم ونفوسهم بعد بروح وفلسفة حقوق الطفل والإنسان.

كما أن مستوى الوعي بهذه الحقوق يختلف من بلد عربي إلى أخر.

وهذا يقتضى أن نعمل على التنبيه إلى ما نصّت عليه المادة الثانية من اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة سنة 1989، والتي جاء بها:

تحترم الدول الأطراف الحقوق الموضّحة في هذه الاتفاقية وتضمنها لكل طفل يخضع لولايتها دون أي نوع من أنواع التمييز، بغض النظر عن عُنصر الطفل أو والديه أو الوصي القانوني عليه، أو لونهم، أو جنسهم، أو لغتهم، أو دينهم، أو رأيهم السياسي أو غيره، أو أصلهم القومي أو الإثني أو الاجتماعي، أو ثروتهم، أو عجزهم، أو مولدهم، أو أي وضع آخر.

تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المُناسبة لتكفل للطفل الحماية من جميع أشكال التمييز أو العقاب القائمة على أساس مركز والدي الطفل أو الأوصياء القانونيين عليه أو أعضاء الأسرة، أو أنشطتهم أو آرائهم المعبر عنها أو معتقداتهم.

وأن نعمل على التنبيه إلى ما نص عليه "الإعلان العالمي لبقاء الطفل وحمايته ونمائه" الصادر عن الأمم المتحدة عام 1990، والذي جاء فيه:

إن أطفال العالم أبرياء ضُعفاء ومُعتمدون على غيرهم، كما أنهم مُحبون للاستطلاع ونشطون ومفعمون بالأمل. ويجب أن تكون أوقاتهم مفعمة بالسعادة والسلم واللعب والتعلم والنماء. ويجب أن يتشكل مستقبلهم في جو من الانسجام والتعاون. وينبغي أن تنضج حياتهم وهم يوسعون آفاقهم ويكتسبون خبرات جديدة.

إلا أن واقع الطفولة مُختلف كل الاختلاف بالنسبة للعديد من الأطفال.

التحدي: في كل يوم، يتعرض عدد لا يحصى من الأطفال في كل أنحاء العالم إلى أخطار تعيق نموهم وتنميتهم. وهم يعانون كثيراً بوصفهم ضحايا للحروب والعنف، وضحايا للتمييز العنصري والفصل العنصري والعدوان والاحتلال الأجنبي والظلم وبوصفهم لاجئين وأطفالاً مشردين أُجبروا على ترك ديارهم وجذورهم، أو بوصفهم معوقين، أو ضحايا للإهمال والقسوة والاستغلال.

*****

وأن تعمل الدول العربية على تنفيذ ما جاء في " ميثاق حقوق الطفل العربي" الصادر عن جامعة الدول العربية عام 1984، والذي جاء به:

اعترافًا بأن الجهود المبذولة في تنمية الطفولة ورعايتها في الوطن العربي ما زالت غير كافية، وغير متكافئة مع ما نرجو ونأمل لأطفالنا في حاضرهم، ومع ما يَـؤَمِّن تأهيلهم للاضطلاع بمسئولية بناء مستقبل أمتهم والذود عنها.

وتمثُّلاً لما تضمنه ميثاق الأمم المتحدة وإعلان منح الشعوب حق تقرير المصير، وإعلان التغذية والإنماء الاجتماعي، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والإعلان العالمي لحقوق الطفل، وغيرها من المواثيق الدولية.

تـُصْدر الميثاق الآتي نصه، متعاهدة على الالتزام بمبادئه وأحكامه، أساسًا لسياستها وخططها وجهودها فَي مجال تنمية الطفولة ورعايتها:

تنمية الطفولة ورعايتها وصون حقوقها مُكَوِّن أساسي من مكونات التنمية الاجتماعية، بل هو جوهر التنمية الشاملة، والطفولة هي المُستقبل، والعامل الحاسم في صنعه، ورعايتها أولوية مقدمة في جهود التنمية، وأولوية في البرامج القطاعية، بقصد منح الطفل خير ما عند أمتنا، لضمان صنع خير ما في الوجود بخير ما في الإنسان ولخيره.

تنمية الطفولة ورعايتها، التزام ديني ووطني وقومي وإنساني، نابع من عقيدتنا، وقيمنا الروحية والاجتماعية، وتراثنا ومبادئنا، وواقعنا، واستجابة لتطلعاتنا.

التنشئة السوية لأطفالنا مسئولية عامة، تقوم عليها الدولة والأمة، ويسهم فيها الشعب من منطق التكافل الاجتماعي، وتتجه لتنمية الطفل تنمية تثرى ذاته وكيانه بحب أقرانه وأسراته، وبحب وطنه، والاعتزاز بتراث أمته وحضارتها، والعمل لتحقيق وحدتها وصنع تقدمها.

وأن تتعاون الدول العربية مع " المجلس العربي للطفولة والتنمية "، الذي تأسّس كمُنظّمة أهلية تطوعية سنة 1987، امتدادًا للجهود العربية المبذولة في مجال تنمية الطفولة ورعاية حقوق الأطفال.

أهم المراجع:

1. روث ووتشا ـ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ـ صياغة مُبسّطة ـ الترجمة العربية ـ المجلس القومي للطفولة والأمومة (مصر) ـ طباعة: دار إلياس العصرية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ 2005 ـ المُقدّمة بقلم السفيرة / مشيرة خطاب بعنوان: لماذا هذه الوثيقة.
2. د. عادل عازر ـ د. مها العدوى ـ نحو تطبيق اتفاقية حقوق الطفل في مصر ـ اليونسيف ـ الأصل باللغة الإنجليزية ـ نقله إلى العربية د. محمد حسام محمود لطفي ـ 1994 ـ القاهرة.
3. د. أحمد الرشيدي وآخر ـ حقوق الإنسان في الوطن العربي ـ دار الفكر العربي ـ دار الفكر دمشق ـ 2002.
4. د. ماريا ألبانو ـ الترجمة الإيطالية لرواية " كنز جزيرة عروس البحر ـ دار سينوس ـ 2008 ـ إيطاليا.
5. يعقوب الشاروني: ـ مغامرة زهرة مع الشجرة ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ سلسلة المكتبة الخضراء ـ الطبعة 4 ـ 2004.
   - الرحلة العجيبة لعروس النيل ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ سلسلة المكتبة الخضراء ـ الطبعة 5 ـ 2004 (انظر مُقدّمة ريتشارد كونتسل ـ الطبعة الأولى ـ 1995).
   - شجرة تنمو في قارب ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ سلسلة مكتبتى ـ 2002.
   - مفاجأة الحفل الأخير ـ دار الهلال ـ القاهرة ـ الطبعة 4 ـ 2003.
6. د. ماريا ألبانو: ـ حصان بغير صهيل ـ ترجمة إلى الإيطالية لمجموعة من قصص الأطفال المصرية، من بينها " قليل من الراحة فوق السلالم " مع دراسة ـ 2009.
   - الدراسة المُشار إليها ـ تعليق على قصة " الأمير الجبان " من مُجلّد " أجمل الحكايات الشعبية " ـ نشر دار الشروق ـ القاهرة.
7. يعقوب الشارونى: ـ حسناء والثعبان الملكى ـ دار المعارف ـ مصر ـ الطبعة 2 ـ 2005.
   - سر ملكة الملوك ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة ـ الطبعة 3 ـ 2007.
   - حكاية رادوبيس ـ دار الياس العصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ 2005.
   - حكاية طارق وعلاء ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ سلسلة مكتبتى ـ 2002.
   - سر الاختفاء العجيب ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ القاهرة ـ سلسلة قطر الندى ـ طبعة 3 ـ 2003.
   - مرمر وبابا البجعة ـ دار البستانى للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ 2005.
8. فريد محمد معوض ـ أفراح وأحزان طفل هذا الزمان ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 2008.
9. المجلس القومي للطفولة والأمومة ـ القانون رقم 12 لسنة 1996، بأحكام حماية الطفل ـ القاهرة ـ 1996.
10. اللجنة القومية العُليا لمهرجان القراءة للجميع ـ مصر ـ " مهرجان القراءة للجميع " ـ 2000.

obeikandl.com